

# **التصنيف الشمولي في السيرة الحسينية**

## **قراءة في كتاب «مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة»**

الشيخ محمد صحتي<sup>(\*)</sup>

ترجمة: محمد عبدالرازاق

### **تمهيد —**

عندما نراجع حياة الإمام الحسين بن جدها تكون من ثمانية وخمسين عاماً يختتمها نهار يوم بعيد سويات من المقاومة والدفاع عن النفس، وتکاد حياته تتلخص في النقاط التالية:

- ١ . ثمانى سنوات في حجر الرسول □ بالمدينة المنورة.
- ٢ . ثلاثون عاماً عاشها مع أبيه في المدينة والكوفة.
- ٣ . عشر سنوات مع أخيه الحسن في المدينة.
- ٤ . ما يقارب العشر سنوات عقب استشهاد الإمام الحسن ؛ تسلم خلالها إماماً للأمة؛ حيث كان حينها . ولتسع سنين ونصف السنة . داخل المدينة المنورة.
- ٥ . الستة أشهر الأخيرة من مسيرته، قضى أربعة منها في مكة المكرمة بجوار بيت الله ، والشهران المتقيان تصرّما بين المدينة ومكة والقسم الأعظم منها كان في مسیر مكة والكوفة وكربلاء ، ثم توقف في كربلاء ثمانية أيام ليشهد بعدها ظهيرة عاشوراء سنة ٦١هـ.

---

(\*) باحث في مجال المصادر التاريخية الإسلامية.

تأسيساً على ذلك، يكون الإمام الحسين قضى مجمل عمره الشريفي في أجواء عبادية معنوية بين مدينة يشرب ومكة المكرمة (حج واعتبر لأكثر من عشر مرات مشياً على الأقدام من المدينة إلى مكة)، يُستثنى من ذلك أواخر أيام حياته خارج المدينة ومن ثم خارج مكة، ذلك الخروج الذي لم يكن عن رغبته و اختياره، بل تماشياً مع الظروف القاهرة، ولو أن حكام الجور في زمانه تركوه و شأنه لما تخلّى عن مجاورة المدينة ومكة المكرمة، مدینتي العبادة والروحانية، ولو لا هذا الحكم الجائر لما رجعَ عملاً على عمل العبادة والطاعة لموهاب، فهو . قبل كل شيء . رجل التقوى والعبادة؛ فأبرز ما يميّزه هو الزهد والعبادة، حاله في ذلك حال جده □ وأبيه وأخيه الحسن ..

### **أين الدراسات الحسينية عن الحسين ما قبل عاشوراء؟! —**

إلا أن الغريب في نتاجات الكتاب والباحثين في حياة الإمام الحسين، تركيزها وبشكل كبير . على الستة أشهر الأخيرة من عمر ناهز الثمانية والخمسين عاماً، متဂاهلين تماماً مائة وخمسة وعشرين يوماً قضاها بمكة مجاوراً للكعبة الشريفة، فقد صبَّ الباحثون جُلَّ اهتمامهم على شهرين من حياته بين صحراري مكة والكوفة وكريلاء، ليختزلوا من بعد ذلك القصة في سبعة أو ثمانية أيام بكريلاء، قاده إليها الإجبار والاضطرار، وفي المحصلة هم لا يعرفون الإمام إلا من خلال يوم واحد ناب عن ثمانية وخمسين عاماً هو يوم عاشوراء، يوم الموت، يوم الفاجعة، وما أكثر تهويتهم لهذا اليوم المغمور بالظلمة والبؤس، محاولين بذلك إثارة تلك الظلمة وإشاعة لياليها الحالكة ليقرأوا على الناس: «كل يوم عاشوراء وكل أرض كريلاء» كأنه كلام الوحي المنزل.

ربما تلخص هذه الأفكار القائمة والانتقائية مرادنا من قصة الحسين: ١ . ليقصد عامة الناس الحسين طلباً للشفاعة وغفران الذنب. ٢ . ليقتصر عمل رواة المقتل والخطباء على إبكاء الناس والتباكي من حولهم. ٣ . ليكون الحسين رمزاً لبعض الفرق المتطرفة، كالزيدية والإسماعيلية والسريدارية والقزلباش<sup>(١)</sup>، وهذا ما يسعى إليه أتباعهم اليوم. ٤ . لتخذ بعض الأحزاب السياسية والأجنحة العسكرية فيها .

ابتداءً من المختار التضيبي والتواين وحتى التكتلات المعاصرة . من الإمام الحسين وقضيته دافعاً لتحفيز أفرادها على القتل والاقتتال. ٥ . لتخذه بعض الجهات التابعة للسلطان أدلةً لخداع تابعيهم. ٦ . أما أصحاب المصائب والوفيات ففayıهم من تلك المواضيع لا تتجاوز مجالس تأبين الموتى ووضع التمام على قبورهم.

نعم، هذا هو الجانب السلبي والمشرئب في العتمة، وإن كان هناك جانب إيجابي . حتى من ضمن النقاط الست الآنفة الذكر . يتمثل في بعض المذاهب والمدارس الفكرية، وغيرها من القادة والزعماء الحقيقيين ممن كان يقرأ في الحسين وقضيته مفاهيم الإباء والحرية والعبادة والزهد والتقوى، ويرون فيه وفي عاشورائه سبيلاً للخلاص من الذل والضييم والخنوع والاستبداد بشتى أشكاله، وإن كان ذلك على حساب الشهادة والتضحية بالدماء، وما أكثر من يقرأ الحسين في مفردات الحرية والشهادة والتضحية هذه الأيام وفقاً لتلك الرؤية.

لقد كان الإمام الحسين ، بحق . مصداقاً لما عُرف به من نعوت، أمثال «سيد الشهداء» و«أبو الأحرار» و«رمز الحرية» و«إمام الأخيار» و«سيد أباء الضييم» و«كافش المبطلين» و«محارب المستبدّين بالدين»، وقد كتب في ذلك مئات الكتب والرسائل لا يسع المقال تكرارها، إنما نلخص القول في كلمتين هما: الجهاد والشهادة.

يبقى بينما تبقى متضائلة نسبة أولئك الذين يريدون في الحسين تحقيق الحياة وتنمية أبعادها، الأمر الذي تسبب في إقصاء ثمانية وخمسين عاماً من حياة الإمام ، فاقتصر التركيز على يوم واحد منها، هو يوم عاشوراء (يوم الموت والشهادة)، وكانت ولا تزال الكتب المؤلفة في الإمام الحسين تحمل عناوينها التقليدية من قبيل: مصرع الحسين، ومراثي الحسين، وأكثرها حضوراً مقتل الحسين، حتى إنك لو أطلقت كلمة المقتل لأنصرفت لمقتل الحسين مباشرةً دون الحاجة لقرينة تذكر، وتقاد أهمية كتابة المقتل في الموسوعات الشيعية لا تقل عن أهمية قراءة المجالس الحسينية وكتابه مراثيها، وهو موضوع متشعب الأطراف له أبعاد خاصة، ولا بد من تسمية كتب من هذا القبيل بـ «المقتل» أو «الشهادة» إذا ما أردنا تحسين مسمّها، وذلك نظراً لتركيز مؤلفيها على أحاديث القتل والمقتول، وسرد جملة من الفجائع والجرائم الحاصلة يوم عاشوراء.

أما ما صدر من كتب . على قلتها . خلال القرن المنصرم تحت عنوانين «حياة الإمام الحسين» وما شابه ذلك، فإنها لم تقع على مسمّاها، وخلافاً له كان مدار حديثها حول استشهاد الإمام وتدعياته بالدرجة الأولى؛ فهي وإن كانت بظاهرها تبدأ من موضوع ولادته ، إلا أن حديثها سرعان ما يتّجه نحو قضية مقتله؛ بحيث إن أول ما يطالعك فيها هو الإخبار عن مقتله على لسان الأنبياء . من آدم إلى الخاتم . فهو سابق حتى لولادته ، فبكته الأنبياء معلنة بذلك مظلوميته الكبرى.

ومجمل القول: إن غالبية من كتب في الحسين ومقتله لم تتجاوز خطواتهم حدود الكوفة وكربلاء ، ولم يخرجوا في قراءاتهم لسيد الشهداء عن دائرة مأساوية عاشوراء الضيق ، إلا أنه صدر هذه الأيام كتاب في ستة أجزاء تناولت صفحاته حركة الحسين من المدينة وحتى العودة إليها ، مستوفياً . إلى حد كبير . مقدمات ونتائج فاجعة عاشوراء . ومقالنا الحالي هو قراءة في هذا الكتاب الذي يحمل عنوان «مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة».

### **التعرّيف الإجمالي بكتاب «مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة»**

صدرت أجزاء الكتاب الستة حسب الترتيب التالي:

الجزء الأول: الإمام الحسين في المدينة المنورة ورحلته منها إلى مكة المكرمة ،  
تأليف علي الشاوي في (٤٩٩) صفحة.

الجزء الثاني: الإمام الحسين في مكة المكرمة ، تأليف نجم الدين الطبسي ،  
٤٧٩ صفحة.

الجزء الثالث: وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء ، تأليف محمد جواد  
الطبسي ، ٢٤٣ صفحة<sup>(٢)</sup>.

الجزء الرابع: الإمام الحسين في كربلاء ، تأليف عزت الله مولائي و محمد  
جعفر الطبسي ، ٥٤٥ صفحة.

الجزء الخامس: وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام ، تأليف محمد جعفر  
الطبسي ، (٢٦١) صفحة.

الجزء السادس: الركب الحسيني في الشام ومنها إلى المدينة المنورة ، تأليف

محمد أمين الأمين، (٥٢٠) صفحة.

لقد اهتمت مواضيع هذا الكتاب بالعشر سنين الأخيرة من حياة الإمام الحسين؛ أي مدة إمامته من عام ٥٠ هجري وحتى سنة ٦١ هجرية، أما الجزءان الآخرين فقد دار الحديث فيما حول أسرة الإمام في الكوفة والشام والمدينة.

### أهم ميزات الكتاب —

هنا أود الإشارة لأهم ما تفرد به كتاب «مع الركب الحسيني» :

- ١ . صدر الكتاب تحت إشراف مركز دراسات حرس الثورة الإسلامية ومن الطبيعي أن تخرج أفكار الكتاب عن سياسة المركز ومؤسساته.
- ٢ . تناول المؤلفون آراء وكلمات الإمام الخميني والشهيد مطهری في عاشوراء الإمام الحسين؛ ومنها انطلقا في قراءاتهم.
- ٣ . وصف الكتاب فاجعة كربلاء بـ«الثورة» والإمام الحسين بـ«الشهيد المنتصر».
- ٤ . أقحم بحث «علم الإمام» في صلب فلسفة عاشوراء، كشرط أساسی في فهم هدف الحسين فهماً صحيحاً.
- ٥ . يقترن نقل بعض الروايات والأحاديث بذكر أسس علم الدراسة والحديث، وهو لا يخلو من الفائدة.
- ٦ . علاوة على كتب التاريخ والحديث والمقاتل هناك مراجعات أيضاً للكتب الفقهية، من قبيل ذكر رأي صاحب الجواهر في عاشوراء وعلم الإمام، ورأي المحقق الثاني في جامع المقاصد (١: ٢٦ - ٢٥).
- ٧ . اهتم الكتاب بشكل واضح بدور سبايا عاشوراء الرسالي، وذلك من خلال تأليف جزئين في هذا الموضوع هما : الخامس والسادس.

### مع الركب الحسيني، عرض وتحليل —

كتبت صفحات الكتاب تحت إشراف الأستاذ علي الشاوي، الذي بدأ مقدمته للكتاب بهذا التساؤل: هل من جديد في ثورة الإمام الحسين؟ بعبارة أخرى: هل ثمة

حاجة لتأليف هذا الكتاب؟ ثم يسترسل الشاوي في طرح تساؤلاته البناءة حتى يقول: «إن ما يمكن أن أطمئن إليه هو أنَّ هذا الكتاب جاء بشيء جديد، وأنَّه ليس محاولة مكررة في المكتبة الحسينية.. وأنَّ ثمَّ حاجة إليه. (٢٤ : ١).

### **الجزء الأول: الإمام الحسين في المدينة المنورة**

يتتصدر هذا الجزء - وقبل الولوج في صلب موضوعه . مقالان: الأول عنوانه «حركة النفاق... قراءة في الهوية والنتائج» تناول تحكم المنافقين بأمور المسلمين بعد وفاة الرسول □ ، مع الإشارة لمواضيع «حزب السلطة» «حزب بنى أمية» و«منافقي أهل الكتب» و«منافقي المدينة» و«الستيقنة وتدعياتها» و«خلافة عمر بن الخطاب» حتى «وصول معاوية السلطة».

أما في المقال الثاني، فكان الحديث حول منطق الحسين ومنهجيته كـ «شهيد منتصر» وما إلى ذلك من بحوث حول آفاق النهضة الحسينية، والتفسير بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي والبحث في موضوع عصر الظهور.

بعد ذلك، يطالعنا الفصل الأول بعنوانه «الإمام الحسين بعد أخيه الإمام الحسن»، هكذا تتلاعَب فصول الكتاب بشيء من السنخية لما اعتادت عليه كتب التاريخ والمقاتل مع وقفات تحليلية للواقع حتى دخوله إلى مكة المكرمة.

### **الجزء الثاني: الإمام الحسين في مكة المكرمة**

يستعرض هذا الجزء من الكتاب تفاصيل ما جرى مع الإمام ومرافقته من حوادث ووقائع طيلة أربعة أشهر هي مدة إقامته في مكة، وقد وضع المؤلف كتابه في ثلاثة أقسام، بعد مقدمة في طبيعة قبائل مكة. وذلك حسب الترتيب التالي:

**الفصل الأول: نشاط الإمام في مكة**، من قبيل إرسال السفراء، وبعث الرسائل وإلقاء بعض الخطب على الناس، وفي خاتمة الفصل هناك إجابات على أربعة أسئلة: ١. لماذا أصرَ الإمام على ترك مكة أيام الحج؟ ٢. هل بدأ الإمام إحرامه من عمرة التمتع إلى العمرة المفردة؟ ٣. هل خرج الإمام من مكة سرًا؟ ٤. لماذا اصطحب الإمام النساء والصبية معه؟

**الفصل الثاني: يتناول بالشرح والتفصيل التخطيطات الأموية خلال مدة إقامة الحسين في مكة** . سواء كان ذلك في مكة أو المدينة والكوفة والبصرة . مع الإشارة

لحادثة استشهاد عبدالله بن يقطر الحميري، واعتقال ميثم التمار وهاني بن عروة.

**الفصل الثالث:** ذكرت فيه مواقف المسلمين لا سيما العبادلة الأربعه ومحمد بن الحنفية، محاولةً في الرد على جملة من التساؤلات، منها: ١. لماذا لم يلتحق عبدالله بن عباس بركب الحسين؟ ٢. ما السبب في تخلف محمد بن الحنفية عن ركب أخيه؟ ٣. ماذا كان موقف ابن عمه وزوج أخته عبدالله بن جعفر؟ ٤. ماذا قال عبدالله بن الزبير وعبد الله بن عمر وجابر الأنصاري وأبو سعيد الخدري وغيرهم في قرار الإمام الحسين؟

### الجزء الثالث: وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء

يقع هذا الجزء في ثلاثة فصول، جاء في الأول منها ذكر علل اختيار الإمام للعراق وتوجهه نحو الكوفة، وتمحور الحديث في الفصل الثاني حول مسلم بن عقيل، ومن كان على خط الحركة الحسينية في الكوفة، أما الفصل الثالث فقد تناول قصص التحاق بعض أصحاب الحسين بركته خلال الطريق، مع ذكر ١٧ موضعًا مرئها الإمام في هذه الرحلة. وقبل الختام ورد ذكر أحوال «طائفة أخرى من أصحاب الإمام ممن التحق به خلال الطريق»، ويظهرأن ما ورد من أسماء هنا لم تكن دقيقةً من قبيل الإسم الموضع (وهب بن وهب) زعمًا بأنه من جملة شهداء عاشوراء (٣: ٢٩٢ - ٢٩٣).

### الجزء الرابع: الإمام الحسين في كربلاء

يشرح هذا الجزء تفاصيل ما دار مع الحسين وركبه منذ وصولهم كربلاء وحتى ظهيرة عاشوراء، وإذا استثنينا الضعف الموجود في هذا الجزء وغيره من ناحية المراوحة بين الروايات المعترضة وغير المعترضة، فإنَّ هذا الجزء لا يخلو من الفائدة الحتمية، كتقديمه إحصائية بثمانية وثلاثين رجلاً التحقوا بركتب الإمام أثناء تواجده بكربلاء، أو «استعراضه لشهداء عاشوراء من خلال النصوص الروائية»، والأهم من ذلك ذكر خمسة عشر وصفاً ولقباً لهم، مع إيراد أوصاف وألقاب الجانب الآخر من جيش الأمويين، وهو ما يربو على الثلاثين لقباً.

لقد استعرض هذا الجزء . مضافاً للأرقام والإحصائيات والعناصر المكونة لجيش الأمويين . بعض الأسئلة المحورية، منها: ١ . هل اشتراك أهل الشام في واقعة

الطف ٢٦ . هل التحق ثلاثة رجالاً بالإمام يوم عاشوراء؟ ٣٦ . كيف كانت صلاة الإمام ظهر عاشوراء؟ ٤ . هل كان لعليّ الأكبر ذرية؟ ٥ . هل قتل عمر في واقعة كربلاء؟ ٦ . من هو «العباس الأصغر» وأبن مَنْ؟ ٧ . ما نوع أسطورة فضة والأسد؟

**الجزء الخامس: وقائع الطريق من كريلاء إلى الشام**

يقع هذا الجزء في قسمين، جاء الأول منها متّماً للجزء السابق (الرابع) (١٧).

(٨٠)، ويسرد الثاني ما حلّ بأهل بيت الحسين وذوي الشهداء بعد الفاجعة وحتى

دخولهم الكوفة ومنها إلى الشام (٨١ - ٢٠٨).

وقد غالب على هذا الجزء الاستشهاد بالروايات الضعيفة وغير المعتبرة أكثر من غيرها، وفضلاً عن إثباتات روايات البحار أو معالي السبطين وغيرهما، هناك أيضاً استشهاد بنصوص بعض الكتب الضعيفة من قبيل أسرار الشهادة، نور العين في مشهد الحسين، ومنتخب الطريحي! ومجمل القول: إن الكتاب ملآن بالروايات الموضوعة والمحرفة، وكأنه كتب لعامة الناس، أو ليقرأ على المنابر فيكون الخطباء أكثر تأثيراً في الحاضرين وإياكائهم.

مع هذا كله، لا يخلو الكتاب من فوائد عقلية ونقلية، لاسيما في بعض النقل عن علماء الرجال أو الفقهاء ومناقشة آرائهم، المؤسف هنا إهمال الكتاب آراء المحقق التستري (الشوشتري) . صاحب قاموس الرجال . الأمر الذي أخل بجودة المضمون ودقة البحث، فليس صواباً أن ينقل عن (تفقيق المقال) دون مراجعة قاموس الرجال في نقد وتصحيح التتفيق.

**الجزء السادس: الركب الحسيني في الشام، ومنه إلى المدينة المنورة**

يستعرض الجزء الأخير من كتاب (مع الركب الحسيني) الوقائع التاريخية لذوي الشهداء، والأهم من ذلك موضوع حملة الرسالة الحسينية ودورهم في الشام، ومنها إلى المدينة المنورة، والكتاب في صورته الإجمالية متسلسل ومنسجم، مع دقة وإنقان في البحث والدراسة، باستثناء بعض جوانبه التي لم تخل من التمحّل والتتكلف، من قبيل ما ورد عن أخبار الطفلة المعروفة والمنسوبة للإمام الحسين (رقية)، أو ما يخصّ موضوع عودة أهل بيت الحسين من الشام إلى كربلاه مرة أخرى. ويتصدر هذا الجزء مدخل في التعريف بيزيد والآراء في سلوكه وشخصيته،

وفي ذلك استقراءً واسع ودقيق ينمّ عن متابعة وتحقيق فاحص يصعب تحصيله في كتاب آخر.

على أية حال، فالمؤاخذات على هذا الجزء وسابقه عديدة يُجزي عن ذكرها ما أثبته في كتابي: دراسة في تحريف عاشوراء وتاريخ الإمام الحسين (تحريف شناسی عاشورا وتأريخ إمام حسین)، إلى غير ذلك من المقالات المطولة، فلا أرى ضرورة للتكرار في هذه العجاله، وكما يقال: «العاقل تکفیه الإشارة»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

## المواضیع

- ١ - سربداران أو (رؤوس على المشانق): أسرة من سبزوار حكمت في القرن الثامن الهجري أولها خواجة عبدالرزاق وآخرها خواجة علي. والقزلباش: جماعة من جيش الشاه إسماعيل الصفوي، وتطلق على الصفویة من أتباع الشاه إسماعيل عموماً وعلى مذهبهم أيضاً، وتعنى أصحاب الرؤوس الحمراء: لأنهم كانوا يضعون على رؤوسهم قلنس حمراء [المترجم].
- ٢ - وقد صدرت الأجزاء الثلاثة الأولى بالفارسية بترجمة عبدالحسين بينش.
- ٣ - راجع: مجلة آینه پژوهش، آذر واسفند ۱۳۸۱ هـ، العدد الخاص بالإمام الحسين، المقالات «بازخوانی فرهنگ عاشوراء» و«كتابشناسی توصیفی». انتقادی پیرامون تحریف های عاشوراء» أيضاً: مجلة علوم حدیث، شتاء ۱۳۸۱ هـ، العدد ۲۶، مقال «بازخوانی چند حدیث مشهور در باره عاشوراء» كذلك تراجع: مجلة فرهنگ کوثر الأعداد: ۵۲، ۵۳، ۵۴. في مقالة مجڑأة «عوامل وانکیزه های تحریف در تاریخ عاشوراء». وقد جمعت عناوین هذه المقالات في الكتاب المذکور.